أطفال الشوارع

ونصل إلى الفصل الأكثر دراما في تقارير المنظمات الدولية وهو الفصل الذي يستعرض حياة أطفال الشوارع المشردين في عواصم العالم المتحضر وغير المتحضر . طعامهم من صناديق القمامة وملابسهم لا تفترق كثيرا عن لون الأسفلت الذي يفترشونه أسفل الكباري . ثم يأتي الأطفال الذين يعملون في أعمال صعبة ولا تناسب مع أعمارهم. حيث تؤكد التقارير أن هناك 68 مليون طفل تحت سن العمل يتم استخدامهم بشكل غير قانوني .

هل يوجد مستقبل ؟

وفي محاولة لرصد المتغيرات الحياتية والمعيشية في دول العالم الفقيرة في السنوات الأخيرة وعلاقة ذلك بمستقبل الطفولة والتنمية في تلك الدول قام الدكتور نبيه إسماعيل أستاذ علم نفس الطفولة بجامعتي المنوفية وأم القرى بإجراء دراسة مهمة كشفت عن حقائق مهمة .

يقول الدكتور نبيه في دراسته إن أهم مشكلة تواجه مستقبل أطفال العالم الثالث هي ضيق المسكن حيث يؤثر ذلك على التكوين النفسي للأطفال بصفة خاصة لأن ضيق الحيز المكاني يؤثر على مدى ما يكون عليه الوالدان من الاستقرار والهدوء النفسي حال تعاملهما مع أطفالهم فضلا عن أن الطفل بحكم طبيعته يميل إلى الحركة واللعب وهذا يتطلب حيزا واسعا كي يستطيع أن يبدد فيه بعض ما لديه من الطاقة . فإذا كان المسكن ضيقا فلن يتم له ذلك مما يضطره إلى ممارسة أنماط من السلوك تثير القلق والاضطراب داخل المسكن بالإضافة إلى الحاجة إلى مكان خاص لممارسة اللعب بأداوته التي تقوم بدور مهم في معدلات نموه العقلي واكتساب خبرات جديدة الأمر الذي يؤدي به إلى وقوعه تحت ضغط الاضطرابات النفسية التي تؤثر بدورها على نمط شخصيته والتي قد تبدو في عدم النضج وقلة الاعتماد على النفس ، ويستطرد مشيرا إلى ما يحدثه المسكن الضيق من إتاحة الظروف للأطفال من التعرض لاكتساب خبرات لا ينبغي أن تكتسب في هذه الفترة من النمو مثل وقوع عين الطفل ـ مصادفة ـ على مشهد ممارسة العلاقة الزوجية بين أبيه وأمه مما يدفع بالأطفال إلى الانخراط في علاقات جنسية مبكرة وغير طبيعية .

لا فرق

وقد يتصور البعض أن أطفال بعض دول العالم الثالث التي تتمتع بمستوى معيشي واقتصادي مرتفع قد يفلتون من تلك المشاكل ولكن الواقع يؤكد عكس ذلك حيث لا يمثل الرخاء المادي عنصرا كافيا لطفولة سعيدة تتمتع بالسواء النفسي والدليل على ذلك ما جاء بالبحث الذي ناقشه مؤتمر رعاية الطفولة الذي شهدته القاهرة في شهر مارس 1992 ونظمه مركز دراسات الطفولة بجامعة عين شمس وأجراه ـ أي البحث ـ الدكتور يوسف عبدالفتاح بجامعة الإمارات .

يقول الدكتور يوسف في بحثه الذي استهدفه معرفة الفرق في تأثر أطفال كل من مصر والإمارات بحالات القلق والاكتئاب أن كلا النوعين من الأطفال الذين شملهم البحث يعانون من القلق والاكتئاب . وتبين أن الأطفال الإماراتيين أكثر معاناة من المظاهر الاجتماعية للقلق . أما فيما يتعلق بالاكتئاب فقد اتضح أن الأطفال المصريين من الجنسين أكثر معاناة من الاكتئاب بوجه عام . أما الإماراتيون فلم تبد لديهم سوى الجوانب الانفعالية والجسمية والحركية للاكتئاب .

وأخيرا ورغم رصد ملايين الدولارات لمواجهة مشاكل الطفل في أنحاء العالم ورغم انعقاد مؤتمر قمة الطفولة في نيويورك في سبتمبر 1990 والذي جمع أكبر عدد من قادة دول العالم لمناقشة قضايا الطفولة بهدف التصدي لوقف النزيف البشري الهائل المتمثل في وفاة عدد كبير من الأطفال كل يوم ومعاناة الكثيرين من الأطفال كل يوم ومعاناة الكثيرين ممن يظلون على قيد الحياة . رغم كل ذلك فالأرقام تشير غلى أن طفولة العالم الثالث تحتاج إلى جهد مكثف وإلى عناية فائقة ليس فقط من حكوماتها وإنما من المجتمع الدولي كذلك .

محمود عبدالعظيم